العلاقة بين العقل والنقل
عند الإمام السيوطي

إعداد

د/ فتحي عبد الرحمن محمد عطية الحوفي

أستاذ العقيدة الإسلامية المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالجامعة القاسمية

وأستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات الزقازيق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حمدا لله وكفى، وصلاة وسلاما على عباده الذين اصطفى، وبعد.....

يعد الحديث عن العلاقة بين العقل والنقل من أهم المباحث الفكرية في هذا الوقت الذي تمر به أمة الإسلام، من تحد للظروف والملابسات التي نتجت عن غياب استعمال العقل الرشيد في كثير من القضايا والمباحث الفكرية والثقافية منذ عصور الانحطاط، فلو استمر استخدام العقل في إطار دوره الذي دعا له الإسلام حين جعله مناط التكليف، وقوام الطريق للمسلم؛ لما تكلف إصلاح المنظومة الفكرية والثقافية للمسلمين في العصر الحديث كل هذا الجهد والوقت، ولما دارت معارك فكرية بين تيارات ومدارس المسلمين حول العقل والنقل، حيث فهم السلف الصالح لدور كل من المنقول والمعقول وجعلوا شروطا في المنقول توافق المعقول، وشروطا في المعقول توافق المنقول. وأثبتوا أهمية فهم المنقول بالعقول، وبينوا دور العقول في فهم المنقول وحدود ذلك الفهم وبينوا طبقات العقول كما وضحوا درجات المنقول من الصحة ومن الضعف، وتركوا للعقول مساحة كبيرة في بيان ذلك والإفادة منه.

وقد وضح الإمام السيوطي العلاقة بين العقل والنقل، فحرص على تحديد ماهية العقل، ورسم ملامح العلاقة بين العقل والنقل. مؤكدا أن العقل منبع العلم وأساسه، وأنه حجة الله على جميع الخلق، وأن قبول هذا الدين لا يكون إلا بالعقل، سيما أن الله تعالى جعل معجزة هذه الأمة الكبرى عقلية، كما تتجلى

قيمة العقل في قيامه بوظيفته، وهي إقامة العبودية لا إدراك الربوبية، وعدم مجاوزته حدوده، فمسائل الدين منها مسائل إذا أدركنا حقائقها بعقولنا فلله الحمد والمنة، ومنها مسائل تقصر عقولنا عن إدراكها ولا مناص من الإيمان بها ووجوب الاتباع بما جاء فيها. فمع هذه المكانة للعقل ومنزلته إلا أنه لا ينبغي الغلو والمبالغة في قدره، وبهذا يكون الإمام قد ساير منهج الأصوليين في حد العقل بالوحي وجعله العقل وسيلة إدراك لا وسيلة إيجاد.

ومن ناحية أخرى رأى الإمام السيوطي أن النقل زاخر بالأدلة العقلية، فما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد يُبنى من كليات المعلومات السمعية والعقلية إلا وكتاب الله قد نطق به. ومن ثم لا تعارض بين العقل الذي يدرك قيمته ودوره وحدوده وبين النقل الصحيح الذي كان –ولا يزال–ملهما للعقل ومصدرا أساسيا للأدلة العقلية.

وإذا كان الإمام السيوطي قد توشح رداء السلف في تحريمه علمي المنطق والكلام إلا أن عباءة المتكلمين قد استهوته فتحلى بها؛ لتزدان العلاقة بين العقل والنقل عنده بمسألة تأويل الصفات الخبرية، التي تردد فيها بين رداء السلف وعباءة المتكلمين، فتارة يفوض وأخرى يؤول، ولا غضاضة في ارتداء إحداهما أو كلتيهما طالما يشع التنزيه من جنباتهما.

خطة البحث: وقد جاء هذا البحث وفق خطة بمقتضاها احتوي على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة: المقدمة وتشتمل على أهمية الموضوع ومنهج البحث وخطته.

المبحث الأول: العقل ومقامه من الدين عند الإمام السيوطي.

والمبحث الثاني: النقل مصدر الأدلة العقلية عند الإمام السيوطي.

والمبحث الثالث: الصفات الخبرية بين التفويض والتأويل عند الإمام السيوطي.

ثم أردفت ذلك بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصل البحث إليها، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث: المنهج التحليلي: وقمت من خلاله بتحليل نصوص الإمام السيوطي المتعلقة بموضوع البحث تحليلاً علمياً ليتسنى للقارئ الوقوف على ما فيها، والتعرف على كيفية الاستفادة منها.

المنهج النقدي: وقد بدا هذا المنهج من خلال بيان مخالفة السيوطي لمنهجه الذي رسمه أحيانا، ومن خلال مخالفته للواقع في أحيان أخرى.

وأخيرا أدعو الله – تعالى ألاّ أحرم أجر المجتهد أصاب أو أخطأ، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

✍ ❁ فتحي عبد الرحمن محمد عطية الحوفي

المبحث الأول

العقل ومقامه من الدين عند الإمام السيوطي

حظي العقل باهتمام كبير عند الإمام السيوطي، نوضحه بجلاء من خلال النقاط التالية:

أولا- مفهوم العقل لغة عند الإمام السيوطي:

جاءت كلمة (العقل) في اللغة بعدة معان دارت حول الإمساك والمنع والحبس(١)، وسمى العقل عقلاً؛ لأنه يحبس صاحبه ويصونه من التورط في المهالك، ولذا قيل: العاقل هو الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها.

وقيل العقل: " هو العلم، الحجر، النّهية، وهو قوة الغريزة، والعقل هو القوة المهيأة لقبول العلم وبه يستنبط العاقل الأمور"(٢).

وقد رأى الإمام السيوطي أن من معاني العقل: الحكمة التي هي العلم والتي تمنع صاحبها من الجهل(٣).

---

(١) يراجع: ابن فارس (أبو الحسين أحمد) معجم مقاييس اللغة، مادة عقل، تح/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ٤/ ٦٩.

(٢) الزبيدي (حمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني) تاج العروس، ط القاهرة ١٣٠٧ هـ، ٢٥/٨.

(٣) السيوطي (جلال الدين) معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح/ أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط الأولى ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م، ١/ ٣٨٧. و: ٢/ ١٥٧.

كما ذهب إلى أن كلمة **(النُّهَى)** بِالضَّمِّ بمعنى العقل، وأنه سُمِّيَ بذلك لأنه ينهى صاحبه عن القبيح [١].

وبهذا يتضح: أن العقل ملكة معنوية يتميز بها الإنسان عن الحيوان، وأن هذه الملكة تمنع صاحبها من التورط في المهالك وترشده إلى التمييز بين الصالح والطالح. وأنها يرد إليها جماع الأمور فهي بمنزلة السيد في القوم.

ثانيا-مفهوم العقل من الناحية الاصطلاحية عند الإمام السيوطي:

حصر الإمام السيوطي تعريفه للعقل في بيان الدور الوظيفي له دون أن يتطرق إلى المعاني الأخرى للعقل، وفي ذلك يقول: " هو أنه آلة التمييز بين القبيح والحسن والسنة والبدعة، والرياء والإخلاص، ولولاه لم يكن تكليف، ولا توجه أمر ونهي.

فإذا استعمله على قدره ولم يجاوز به حده؛ أداه ذلك إلى العبادة الخالصة، والثبات على السنة، واستعماله المستحسنات، وترك المستقبحات"[٢].

و: حاشية السندي على سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، ط الثانية ١٤٠٦/ ١٩٨٦، ٨٨/٢.

(١) السيوطي: حاشية السندي على سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، ط الثانية ١٤٠٦/ ١٩٨٦، ٨٨/٢.

(٢) السيوطي: صون المنطق والكلام عن فني المنطق وعلم الكلام، تح/ علي سامي النشار، سعاد علي عبد الرازق، سلسلة إحياء التراث الإسلامي، ١/ ٢٣٣، ٢٣٤.

وقد أشار الإمام السيوطي إلى أن العقل وإن كان واحدا في ذاته إلا أن له وجهان، الوجه الأول عقل المعاش وهو مشـــترك بين المؤمن والكافر، والوجه الآخر عقل الهداية، فمن رزقه الله الهداية فهو المؤمن العاقل [١].

وبهذا يكون العقل "حجة الله على جميع الخلائق، لأنه ســبب التكليف ..، **وقال بعضهم: العقل على ثلاثة أوجه:**

عقل مولود مطبوع، وهو عقل بني آدم، الذي به فضـل على أهل الأرض، وهو محل التكليف والأمر والنهي، وبه يكون التدبير والتمييز.

والعقل الثاني: هو عقل التأييد الذي يكون مع الإيمان، وهو عقل الأنبياء والصديقين. وذلك تفضل من الله تعالى.

والعقل الثالث: هو عقل التجارب والعبر، وذلك ما يأخذه الناس بعضـــهم من بعض، ومن هذا قول من قال: ملاقاة الناس تلقيح العقول"[٢].

ومع تركيز الإمام السيوطي على الدور الوظيفي للعقل إلا أنه مع ذلك أكد على أن العقل له حدود، فينبغي للإنسان أن يستعمله على قدره، دون أن يجاوز به حده؛ حتى يقوم بالدور الوظيفي له على الوجه المطلوب.

أما مفهوم النقل: فلا يحتاج إلى جهد كبير، فهو لغة: مأخوذ من نقل ينقل الشيء أي حمله من مكان إلى آخر، يقال: نقل الخبر أي أوصله إلى غيره.

---

(١) السيوطي: كتاب الكنز المدفون والفلك المشحون، ط ١٢٨٨ هـ، ص ٢٣٦.

(٢) السيوطي: صون المنطق والكلام عن فني المنطق وعلم الكلام، ١/ ٢٣٤، ٢٣٥.

اصطلاحا: هو كل ما ورد إلينا عن طريق القرآن الكريم والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

ثالثا–مقام العقل من الدين:

تبنِّي الإمام السيوطي معارضة المنطق الصوري لا يعني إنكاره للعقل وقيمته؛ لأن المنهج العقلي ليس موقوفا على المنطق الصوري، وهذا ما أراد الإمام السيوطي أن يلفت الانتباه إليه، من خلال تبنيه لمنطق جديد مؤسس على منهج الأصوليين في فهم الكتاب والسنة، والذي أكد من خلاله مقام العقل من الدين، وهو ما يتضح من خلال ما يلي:

١–العقل منبع العلم وأساسه:

يقول الإمام السيوطي: " اعلم أنه منبع العلم وأساسه، والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾(١)، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾(٣)، وحيث

(١) سورة طه: ٢٤، ١٢٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٩٠.

(٣) سورة الأنعام: ١٢٢.

ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل"[1]. فالعلم بحقيقة المعلوم وإدراك كنهه هي بمثابة العقل؛ فالآيات تبين أن أصـــحاب العقول يدركون المعلوم، وبالتالي فالعقل هو منبع العلوم، ووسيلة إدراك المعلوم، وهو من خلق الله وآلائه وآياته.

٢-العقل حجة الله على جميع الخلق، مع عدم اســـتغنائه عن توفيق الله تعالى:

أكد الإمام الســـيوطي أن العقل هو حجة الله على جميع الخلق، ورغم هذه المكانة لا يمكن له البتة أن يســـتغني عن توفيق الله له، وقد عضـــد هذه الفكرة بنقله أقوال غيره من العلماء. وفي ذلك يقول: " وقال بعضـــهم العقل حجة الله على جميع الخلق؛ لأنه سبب التكليف، إلا أن صاحبه لا يستغني عن التوفيق في كل وقت. ونفس العقل بالتوفيق كان، والعاقل محتاج في كل وقت إلى توفيق جديد تفضلا من الله تعالى، ولو لم يكن كذلك لكان العقلاء مستغنين عن الله بالعقل، فيرتفع عنهم الخوف والرجاء ويصـــيرون آمنين من الخذلان، وهذا تجاوز عن درجة العبودية وتعد عنها، ومحال من الأمر؛ إذ ليس من الحكمة أن ينزل الله تعالى أحدا غير منزلته، فإذا أغنى عبيده عن نفسه فقد أنزلهم غير منزلتهم، وجاوز بهم حدودهم...، ولو كان هذا هكذا لاستوى الخلق والخالق في معنى من معاني الربوبية، والله تعالى ليس كمثله شيء في جميع المعاني"[2].

---

(١) السيوطي: كتاب الكنز المدفون والفلك المشحون، ص ٢٣٦.

(٢) السيوطي: صون المنطق والكلام عن فني المنطق وعلم الكلام، ١/ ٢٣٤.

ففي هذا النص إشـــارة من الإمام الســـيوطي إلى موقف المعتزلة من دور العقل في التحسـين التقبيح، واعتباره فيصـل التفرقة بين الإيمان والزندقة، مؤكدا أن هذا الاتجـاه يرفع النـاس عن الخوف والرجـاء، بـل يؤدي إلى تجـاوز مقام العبودية، ومساواة المخلوق للخالق في معنى من معاني الربوبية [1].

وهنا تسـاؤل يطرح نفسـه؛ إذا كان الإمام السـيوطي قد حمل على المعتزلة لقولهم بالتحســين والتقبيح العقليين فهل يتعارض موقفه هذا مع ما أكده من قبل في تعريفه العقل بأنه آلة للتمييز بين القبيح والحسن؟

والجواب أنه لا تعارض بين الموقفين؛ فإن إدراك العقل للتمييز بين الحسن والقبح أمر لا يجادل فيه عاقل، لكن العقل وحده لا يســـتقل بإدراكه، وهذا ما ذهب إليه الإمام السـيوطي، وما أخذه على المعتزلة هو قصـرهم إدراك الحسـن والقبح على العقل فقط، فإن العقل مهما بلغ دقته في الكشف عن حقائق الأمور وإدراك طبائعها لا شك قاصـر عن الإحاطة بما يحقق مصـلحة النفس البشـرية في العاجل والآجل، والإحاطة بذلك كله إنما هي شأن من وسع علمه كل شيء وهو الله ﷻ.

ثم يشـير الإمام السـيوطي أن دور العقل في المعرفة يكمن في ضـبطها لا الحصـــول عليها، مســـتشـــهدا بأقوال بعض أهل المعرفة في تقريبهم لدور العقل بالمثال، وفي ذلك يقول: " وقال بعض أهل المعرفة مقدار العقل في المعرفة

(١) يراجع: شـــرف (محمد جلال أبو الفتوح) جلال الدين الســـيوطي منهجه وآراؤه الكلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨١ م، ص ٤٦.

كمقدار الإبرة عند ديباج أو خز، فإنه لا يمكن لبس ديباج ولا خز إلا أن يخاط بالإبرة، فإذا خيط بالإبرة فلا حاجة بها إلى الإبرة. كذلك تضبط المعرفة بالعقل، لا أن المعرفة تحصل من العقل أو تثبت به" (١).

ففي هذا النص يوضح الإمام السيوطي مكانة العقل ودوره في المعرفة، فلولاه لبقيت بعيدة عن الإدراك وغير ذات ثمرة، فكان بمثابة الأداة التي تحول الديباج إلى ثوب بهيج، فقد أضافت له الآلة طريقة مخصوصة في الاستعمال والاستخدام ما كان لها أن توجد من غيره.

٣-أن قبول هذا الدين لا يكون إلا بالعقل:

وفي ذلك يقول الإمام السيوطي: "إن الله أسس دينه وبناه على الاتباع، وبناه على العقل. فمن الدين معقول وغير معقول(٢) والاتباع في جميعه واجب"(٣)، فالإمام السيوطي يؤكد بهذا الكلام مسلك جمهور الأصوليين في وصف العقل بأنه تابع للنص وليس أصلا مستقلا قائما بذاته(٤).

---

(١) السيوطي: صون المنطق والكلام عن فني المنطق وعلم الكلام، ١/ ٢٣٤، ٢٣٥.

(٢) لا ينبغي أن تفهم عبارة الإمام السيوطي: (فمن الدين معقول وغير معقول) على غير مراده، فليس معناها أن من الدين ما لا يعقل، بل مراده أن من الدين ما لا تدرك عقولنا حقائقه نظرا لقصورها، وإن كان هو في ذاته معقولا وإن قصرت عقولنا عن إدراكه.

(٣) السيوطي: صون المنطق والكلام، ١/ ٢٣٣.

(٤) يراجع: الديب (عبد العظيم محمود) العقل عند الأصوليين، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٣٦.

ويعضد الإمام السيوطي فكرته ببعض النقول التي أوردها عن أهل السنة، فيقول: "ومن أهل السنة من قال بلفظ آخر: إن الله لا يُعرف بالعقل، ولا يُعرف مع عدم العقل، ومعنى هذا أن الله هو الذي يُعرِّف العبد ذاته، فيعرف الله بالله لا بغيره؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾(١)، ولم يقل ولكن العقل.. وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: (والله لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا، ولا صلينا)(٢).

فهذه الدلائل دلت على أن الله تعالى هو المعرِّف. إلا أنه إنما يعرف العبد نفسه مع وجود العقل؛ لأنه سبب الإدراك والتمييز، لا مع عدمه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٣)، والله يعطي العبد المعرفة لهدايته إلا أنه لا يحصل ذلك مع فقد العقل" (٤).

وقد اعتمد الإمام السيوطي في تقريبه لهذه الفكرة بضرب الأمثلة:

الأول: كما أن العبد لا يعرف الله بجسمه ولا بشخصه ولا بروحه؛ كذلك لا يعرف الله بالعقل ولا يعرفه مع عدم العقل.

---

(١) سورة القصص: ٥٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث البراء ﷺ، كتاب (كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ) باب (بَابُ غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ وَهِيَ الْخَنْدَقُ) ح (١٨٠٣).

(٣) سورة الملك: ١٠.

(٤) السيوطي: صون المنطق والكلام، ١/ ٢٣٢، ٢٣٣.

الثاني: ونظير هذا أن الولد لا يكون مع فقد الوطء، ولا يكون بالوطء، بل يكون بإنشاء الله تعالى وخلقه.

الثالث: وكذلك لا يكون الزرع إلا في أرض وببذر وماء، ولا يكون بذلك؛ بل يكون بقدرة الله وإنباته. قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[1]، معناه أنتم تنبتونه أم نحن المنبتون. يقال للولد زرعه الله: أي أنبته الله تعالى، وأمثال هذا كثير[2].

وحاصل كلام السيوطي أن الله لا يعرف بالعقل، وإنما يعرف عند وجوده، ولا يمكن أن يعرف مع عدمه. وبهذا يكون العقل وسيلة وهبها الله للإنسان ليدرك بها ربه، ولم يجعلها فاعلة بذاتها في هذا الإدراك، بل فاعلة بمشيئته وإرادته ﷻ.

وهنا إشكال يواجه الإمام السيوطي والأصوليين وهو حدود إرادة العبد وحريته التي شغلت الفكر الكلامي الإسلامي منذ ظهور المعتزلة. ولا شك أن الأمثلة التي طرحها الإمام لتوضيح فكرته تجنح به إلى منهج الأشاعرة في مسألة الكسب.

٤-أن الله تعالى جعل معجزة هذه الأمة الكبرى عقلية:

يقول الإمام السيوطي: الحمد لله الذي جعل معجزات هذه الأمة عقلية؛ لفرط ذكائهم، وكمال أفهامهم، وفَضْلِهم على مَنْ تقدمهم، إذ معجزاتهم حسية

---

(١) سورة الواقعة: ٦٣، ٦٤.

(٢) السيوطي: صون المنطق والكلام عن فني المنطق وعلم الكلام، ١/ ٢٣٣.

لبلاَدتهم، وقلة بصيرتهم، ومع أن العرب كانوا أَفصح الفصحاءِ وأبلغ البلغاء، إلا أنه لم يقدر أحدٌ منهم على معارضة القرآن بعد تحديهم وإمهالهم طول السنين ومع ذلك عجزوا(١). وفي هذا دلالة واضحة على مقام العقل من الدين، كأداة لها مكانتها، ووسيلة لها شأنها عند المسلمين؛ فلا بيان من غير تعقل وذكر وفهم، واكتمال الرسالة واستمرارها يعتمد على جهد العقلاء من أبناء الأمة، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾(٢)، فغدا الإجماع الذي هو إدراك العقلاء المجتهدين من أمة ﷺ وسيلة استكمال عمل الرسالة في الأرض بعد ختم الرسالة وختم النبوة واكتمال الوحي.

٥-تتجلى قيمة العقل في قيامه بوظيفته وهي إقامة العبودية، وعدم مجاوزته حدوده:

أراد الإمام السيوطي أن يلفت الانتباه إلى أن هذه المكانة والمنزلة للعقل لا ينبغي أن تكون سبيلا للغلو في شأنه ومجاوزة حده، فإنه مع هذه المكانة محدود الوظيفة، ووظيفته إقامة العبودية، ولا ينبغي أن تتجاوزها إلى إدراك الربوبية، لأنها ليست من مجال العقل.

وقد نقل الإمام السيوطي عن بعض أهل المعرفة أقوالا هامة تحدد وظيفة العقل في إقامة العبودية، لا إدراك الربوبية، ومن ذلك قولهم: " إنما أعطينا

(١) السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/ ٣.

(٢) سورة النساء: ١٥.

العقل لإقامة العبودية، لا لإدراك الربوبية، فمن شغل ما أعطي لإقامة العبودية بإدراك الربوبية فاتته العبودية ولم يدرك الربوبية.

ومعنى قولنا إنما أعطينا العقل لإقامة العبودية هو أنه آلة التمييز بين القبيح والحسن[1]، والسنة والبدعة، والرياء والإخلاص، ولولاه لم يكن تكليف، ولا توجه أمر ونهي. فإذا استعمله على قدره ولم يجاوز به حده: أداه ذلك إلى العبادة الخالصة، والثبات على السنة، واستعماله المستحسنات، وترك المستقبحات.

فهذا يكون معنى قول النبي ﷺ في الرجل يكثر الصلاة والصيام: (إنما يجازى على قدر عقله) [2].

(١) المراد بالقبيح والحسن هنا: الذي يمكن للعقل إدراكه لا على جهة الاستقلال.

(٢) ذكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) عشرة أحاديث في العقل كلها كذب، وعد منها حديث (إن الرجل ليكون من أهل الصلاة والجهاد وما يجزى إلا على قدر عقله) ". وقال أبو الفتح الأزدي: لا يصح في العقل حديث قاله أبو جعفر العقيلي وأبو حاتم بن حبان، والله أعلم " المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تح/ عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب، ط الأولى ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ١/ ٦٦، ٦٧. وللحديث رواية أخرى أكثر شهرة، لفظها: (ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها) وهو بهذا اللفظ لا أصل له مرفوعا، وإنما صح موقوفا عن بعض السلف، كما جاء في الحلية بإسناد صحيح: (يُكْتَبُ لِلرَّجُلِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا عَقِلَ مِنْهَا)، يراجع: الأصبهاني (أبو نعيم) حلية الأولياء، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٩هـ، ٧/ ٦١.

وقال بعضـــهم: العقل مدبر يدبر لصـــاحبه أمر دنياه وعقباه، فأول تدبيره الإشـــارة إلى المدبر الصـــانع، ثم إلى معرفة النفس، ثم يشـــير إلى صـــاحبه بالخضـــوع والطاعة لله، والتســـليم لأمره، والموافقة له، وهذا معنى قولهم: العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه"(١).

حدود العقل الإنساني:

بعد أن بين الإمام الســـيوطي دور العقل ووظيفته راح يوضـــح حدوده؛ إذ هي من أهم الأمور الفاصـلة بين أهل السـنة وبين المبتدعة الذين أسـسـوا دينهم على المعقول وجعلوا الاتباع والمأثور تبعا له.

ثم طبق الإمام الســـيوطي هذه الفكرة على مســـائل الدين، فبين أن منها مسائل إذا أدركنا حقائقها بعقولنا فلله الحمد والمنة، ومنها مسائل تقصر عقولنا عن إدراكها ولا مناص من الإيمان بها ووجوب الاتباع بما جاء فيها، يقول الإمام السيوطي: " ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر صفات الله ﷻ وما تعبد الناس به من اعتقاده، وكذلك ما ظهر بين المســـلمين وتداولوه بينهم ونقلوه عن سلفهم إلى أن أسندوه إلى رسول الله ﷺ، من ذكر عذاب القبر وسؤال الملكين والحوض والمِيزان والصراط وصفات الجنة وصفات النار وتخليد الفريقين فيهما؛ أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها.

(١) السيوطي: صون المنطق والكلام عن فني المنطق وعلم الكلام، ١/ ٢٣٣، ٢٣٤.

فإذا سمعنا شيئا من أمور الدين وعقلناه وفهمناه فلله الحمد، وما لم يمكنا إدراكه وفهمه ولم تبلغه عقولنا آمنا به وصدقنا واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيئته. وقال تعالى في مثل هذا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾(٢) " (٣).

ثم أكد الإمام السيوطي أن هذا هو منهج أهل السنة، وهو بدوره حدا فاصلا بينهم وبين المبتدعة، وفي ذلك يقول: " واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعا للمعقول.

وأما أهل السنة قالوا: الأصل الاتباع والعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله عليهم، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء. ولو كان الدين بني على المعقول وجب ألا يجوز للمؤمنين أن يقبلوا شيئا حتى يعقلوا" (٤).

---

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

(٢) سورة البقرة ٢٥٥.

(٣) السيوطي: صون المنطق والكلام عن فني المنطق وعلم الكلام، ١/ ٢٣٥، ٢٣٦.

(٤) السابق: نفس المرجع، ١/ ٢٣٥.

ولهذا فإن أهل السنة يرون أن العقل " لا يُوجب شيئا على أحد ولا يرفع شيئا عنه. ولا حظ له فِي تحلِيل أو تحريم، ولا تحسين ولا تقبيح، ولو لم يرد السمع ما وجب على أحد شيء ولا دخلوا في ثواب ولا عقاب"(١).

واستدلوا على هذا بقوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾(٢)، وبقوله تعالى: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾(٣)، وقال تعالى حاكيا عن الملائكة فيما خاطبوا به أهل النار: ﴿**أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى**﴾(٤).

فأقام الحجة عليهم ببعثه الرسل، فلو كانت الحجة لازمة بنفس العقل لم يكن بعثه للرسل شرطا لوجوب العقوبة.

وَقَالَ ﷺ: (**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**) (٥)، فدل أنه الداعي إلى الإيمان وعندهم أن الداعي إلى الإيمان هو العقل، وجاء الكتاب

---

(١) السابق: نفس المرجع، ١/ ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) سورة الإسراء: ١٥.

(٣) سورة النساء: ١٦٥.

(٤) سورة الزمر: ٧١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس ﷺكتاب (الصلاة) باب (فضل استقبال القبلة) ح رقم (٣٩٢)، ومسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ كتاب (الإيمان) باب (بَابُ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ) ح رقم (٣٣).

مؤيدا لهذا، قال الله تعالى ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[1] الآية، فدل على أن الدعوة له، وأن الحجة تقوم به، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة "[2].

فقول الإمام السيوطي بأن العقل لا يُوجب شيئا على أحد ولا يرفع شيئا عنه. ولا حظ له فِي تحلِيل أو تحريم، ولا تحسين ولا تقبيح، ولو لم يرد السمع ما وجب على أحد شيء ولا دخلوا في ثواب ولا عقاب؛ هو عين ما ذهب إليه الأصوليون من الأشاعرة وغيرهم من أن العقل لا حظ له في التحسين والتقبيح، بل مرد ذلك إلى الشرع فيما ورد به الأمر والنهي، يقول إمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨ هـ): " من أحكام الشرع التقبيح والتحسين وهما راجعان إلى الأمر والنهي فلا يقبح شيء في حكم الله تعالى لعينه كما لا يحسن شيء لعينه" [3].

وغير وارد أن يكون نفي الإمام السيوطي وقبله الأصوليين من الأشاعرة للحسن والقبح العقليين منصب على مطلق الإدراك، ولذا وضح الإمام الرازي (ت ٦٠٦ هـ) مراد الأصوليين من نفي التحسين والتقبيح العقليين بقوله: " الحسن والقبح قد يعنى بهما كون الشيء ملائما للطبع أو منافرا، وبهذا التفسير لا نزاع في كونهما عقليين.

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٢) السيوطي: صون المنطق والكلام عن فني المنطق وعلم الكلام، ١/ ٢٢١، ٢٢٢.

(٣) الجويني (إمام الحرمين) في أصول الفقه، تح/ صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط الأولى ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م، ١/ ٣.

وقد يراد بهما كون الشيء صفة كمال أو صفة نقص، كقولنا العلم حسن والجهل قبيح، ولا نزاع أيضا في كونهما عقليين بهذا التفسير. وإنما النزاع في كون الفعل متعلق الذم عاجلا وعقابه آجلا، فعندنا أن ذلك لا يثبت إلا بالشرع"(١).

وقد واصل السيوطي تأكيده حدود دور العقل في الفهم عن الله، وليس القيام مقام الله في الإثبات والنفي والتحسين والتقبيح، فحمل حملة شعواء على الذين أحلوا عقولهم محل الرسل في وجوب الإيمان، مبينا فساد مسلكهم، قائلا: " وما أوحش قول من يقول إنه لا دعوة لأحد من النبيين والمرسلين إلى الإيمان على الحقيقة وأن وجودهم وعدمهم في هذا بمنزلة واحدة، ولو لم يكونوا كان وجوب الإيمان على الناس على الجهة التي وجبت عليهم بعد وجوبهم، ولاحظ لدعوتهم في هذا، وإنما الحظ لدعوتهم في الشرائع وفروع العبادات.

فقد جعلوا عقولهم دعاة إلى الله ووضعوها موضع الرسل فيما بينهم، ولو قال قائل: لا إله إلا الله عقلي رسول الله لم يكن مستنكرا عند المتكلمين من جهة المعنى، فظهر فساد قول من سلك هذا المسلك"(٢).

ثمَّ توجه إليهم سائلا إياهم: إذا خالف أمر الله حكم العقل فبأيهما تأخذ؟ بالذي تعقل أو بالذي أمر الله؟ فإن قال بالذي أعقل؛ فقد أخطأ وترك سبيل

---

(١) الرازي (فخر الدين) المحصول في علم الأصول، تح/ طه جابر فياض العلواني، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، ط الأولى ١٤٠٠ هـ، ١/ ١٥٩.

(٢) السيوطي: صون المنطق والكلام عن فني المنطق وعلم الكلام، ١/ ٢٢٢.

الإســـلام. وإن قال إنما آخذ بالذي جاء من عند الله فقد ترك قوله. يقول الإمام السيوطي: " ثم نقول لهذا القائل الذي يقول بني ديننا على العقل وأمرنا باتباعه: أخبرنا إذا أتاك أمر من الله تعالى يخالف عقلك فبأيهما تأخذ؟ بالذي تعقل؟ أو بالذي تؤمر؟

فإن قال بالذي أعقل فقد أخطأ وترك ســـبيل الإســـلام، وإن قال إنما آخذ بالذي جاء من عند الله، فقد ترك قوله.

وإنما علينا أن نقبل ما عقلناه إيمانا وتصـــديقا، وما لم نعقله قبلناه وتســـليما واستسلاما، وهذا معنى قول القائل من أهل السنة: إن الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم"(١).

من خلال ما عرضـــناه من فكر الإمام الســـيوطي في مســـألة العقل ومقامه من الدين يتأكد لنا أن الإمام السيوطي كان ممن يُجل العقل ويعرف قدره ومقامه دون غلو أو تفريط؛ فالعقل هو حجة الله على جميع الخلق، وقبول هذا الدين لا يكون إلا بالعقل، بدليل أن الله تعالى جعل معجزات هذه الأمة عقلية.

ومع هذه المكانة للعقل ومنزلته إلا أنه لا ينبغي الغلو والمبالغة في قدره؛ لأن العقل لا يمكن أن يســـتغني عن توفيق الله، وأن وظيفته هي إقامة العبودية لا إدراك الربوبية، فالأَصْل في الدين الاتباع والعقول تبع لدين الله تعالى.

وبهذا يكون الإمام الســـيوطي قد ســـاير منهج الأصـــوليين في حد العقل بالوحي وجعله وسيلة إدراك لا وسيلة إيجاد.

---

(١) السابق: نفس المرجع، ١/ ٢٣٦.

بقيت نقطة هنا في غاية الأهمية، وهي مدى أصالة ما ذكره الإمام السيوطي في العقل ومقامه من الدين من عدمه، فبعد أن ذكر الإمام السيوطي تعريفه للعقل وبين مقامه من الدين؛ اختتمه قائلا: " هذا آخر ما لخصته من كلام ابن السمعاني (ت ٤٨٩ هـ)"[١].

وبالبحث في مؤلفات ابن السمعاني تبين أن له كتابا أسماه: (الانتصار لأصحاب الحديث)، تناول في أحد فصوله مسألة (معنى العقل ومقامه من الدين عند أهل السنة) وبمقارنة ما كتبه السيوطي في العقل ومقامه من الدين، وما كتبه ابن السمعاني في ذلك؛ تبين لي أن عبارة الإمام السيوطي: (هذا آخر ما لخصته من كلام ابن السمعاني)، بعيدة عن الدقة؛ لأن الإمام السيوطي لم يلخص كلام ابن السمعاني البتة، وإنما اقتبسه اقتباسا كاملا دون أدني تغيير أو تلخيص [٢].

ويمكن القول: إن عبارة الإمام السيوطي وإن دلت على أمانته لإحالته إلى ابن السمعاني، إلا أنها دلت من جانب ثان على عدم دقته في الإحالة، ومن جانب ثالث دلت على ارتضائه لكلام ابن السمعاني في هذه المسألة وتبنيه له، مما جعلني أعده رأيا للسيوطي. وهو بدوره ما يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن

---

(١) السيوطي: صون المنطق والكلام عن فني المنطق وعلم الكلام، ١/ ٢٣٦.

(٢) يراجع: ابن السمعاني (أبو المظفر) الانتصار لأصحاب الحديث، تح/ محمد حسين الجيزاني، مكتبة أضواء المنار السعودية، ط الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٧٥-٨٠.

الإمام السيوطي تبني منهج الأصوليين دون زيادة هنا أو مناقشة خارجة على هذا المنهج هناك، كل ما هنالك أنه قرب إلينا هذا المسلك وبين لنا استمراره عبر العصور المتتالية منذ القرن الثاني الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري، وهذا عمل جيد ومفيد للغاية؛ لكونه يؤكد استمرارية الوعي بأصول الفكر الإسلامي، عند أعلام القرن التاسع الهجري، ويرد على من يدعي انحطاط الفكر الإسلامي في القرن التاسع والعاشر، فلولا كتابات الإمام السيوطي لصدقنا بهذه الفرية وعددناها مسلمة من مسلمات من يريد أن يقنعنا بتوقف الفكر الإسلامي عند نهاية القرن السابع.

المبحث الثاني

النقل مصدر الأدلة العقلية عند الإمام السيوطي

أكد الإمام السيوطي أن في النقل كفاية وغنى عن غيره، فقد حوى القرآن الكريم أصول كافة العلوم الشرعية والعربية والعقلية. ومنها علم أصول الدين بما فيه من الأدلة العقلية، والشواهد الأصلية والنظرية، فاستنبط علماؤه من القرآن أدلة على وحدانية الله ووجوده، وقِدَمه، وبقائه، وقدرته، وعلمه، وتنزهه عما لا يليق به [١].

كما اشتمل القرآن الكريم على أصول علم الجدل وأقيسته ومقدماته ونتائجه، فيقول: " وأما الجدل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج، والقول بالموجب والمعارضة، وغير ذلك، شيئاً كثيراً. ومناظرة إبراهيم نمرود ومحاجته قومه أصل في ذلك عظيم"[٢].

وقد عدَّ الإمام السيوطي اشتمال القرآن على البراهين والأدلة من جوه إعجازه، مبينا أن طريقة القرآن الكريم في عرض براهينه ودلالاته جاءت على عادة العرب، دون الخوض في دقائق المتكلمين، وفي ذلك يقول: " وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد يبْنَى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين[٣].

---

(١) السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/ ١٥.

(٢) السابق: نفس المرجع، ١/ ١٧، ١٨.

(٣) السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ٣٤٦/١.

ويعطي الإمام السيوطي مثالا لعدد من قضايا العقيدة التي استلهم المتكلمون براهينها من القرآن، أكتفي بالإشارة إلى واحدة وهي قضية البعث ولجوء المتكلمين في الاستدلال عليها إلى القرآن الكريم، يستوحون منه أقيسته وبراهينه التي اعتمدها في البرهنة على صحة هذه القضية. حيث ذكروا أن من أول سورة الحج إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[1] فيه "خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات:

١-قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾[2]؛ لأنه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه تعالى أخبر بزلزلة الساعة معظماً لها، وذلك مقطوع بصحته..؛ فهو حق، ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق، فهو الولي.

٢-وأخبر تعالى أنه يحي الموتى، وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى ليشاهدوا تلك الأهوال التي يعلمها الله من أجلهم.

٣-وقد ثبت أنه قادر على كل شيء، ومنه إحياء الموتى، فهو يحي الموتى.

٤-وأخبر تعالى أنه على كل شيء قدير، لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين، ومن يجادل في الله بغير علم يذقه من عذاب السعير، ولا يقدر على ذلك إلا من هو على كل شيء قدير، فهو على كل شيء قدير.

---

(١) سورة الحج: ٧.

(٢) سورة الحج: ٦.

٥-وأخبر أن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها؛ لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الإنسان من تراب إلى قوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾(١)، وضرب لذلك مثلاً بالأرض الهامدة التي ينزل عليها الماء فتهتز وتربو، وتنْبِت من كل زَوْج بَهِيج. ومن خَلق الإنسان على ما أخبر به فأوجده بالخلق ثم أعدمه بالموت، ثم يعيده بالبعث، وأوجد الأرض بعد العدم فأحياها بالخلق ثم أماتها بالمَحْل، تم أحياها بالخصب، وصدق خبره في ذلك كله بدلالة الواقع المشاهد على التوقع الغائب، حتى انقلب الخبر عيانا -صدق خبره في الإتيان بالساعة، ولا يأتي بالساعة إلا من يبعث مَنْ في القبور، لأنها عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للمجازاة، فهي آتية لا ريب فيها، وهو سبحانه يبعث من في القبور" (٢).

كما استخدم القرآن عددا من الأقيسة العقلية في البرهنة على المعاد، منها:

١-قياس الإعادة على الابتداء، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾(٣)، وقال: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾(٤).

٢-قياس الإعادة على خلق السماوات والأرض بطريق الأولى، قال تعالى: ﴿أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾(٥).

---

(١) سورة الحج: ٥.

(٢) السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/ ٣٤٥، ٣٤٦.

(٣) سورة الأعراف: ٢٩.

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٤.

(٥) سورة يس: ٨١.

٣-قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات.

٤-قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر، وقد روى الحاكم وغيره أن أبي بن خلف جاء بعَظْمٍ ففَتَّه، فقال: أَفَيحِيي اللهُ هذا بعد ما بليَ ورَمَّ، فأنزل الله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾(١). فاستدل سبحانه بردِّ النشأة الأخرى إلى الأولى والجمع بينهما بعلة الحدوث. ثم زاد في الحجاج بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾(٢). وهذه في غاية البيان في رد الشيء إلى نظيره، والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراض عليها(٣).

وبهذا وغيره وضح الإمام السيوطي اشتمال القرآن على الأقيسة العقلية التي استقاها المتكلمون من معين القرآن الكريم.

ولم يكتف الإمام السيوطي ببيان أهمية القياس من خلال القرآن الكريم، وإنما انتقل إلى السنة النبوية يستقي منها أهمية القياس من خلال بعض القضايا والمسائل، أكتفي منها بمسألة براءة والدي النبي ﷺ من الشرك في ضوء الأحاديث النبوية.

---

(١) سورة يس: ٧٩، والحديث أخرجه النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، وقال الإمام الذهبي: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ح رقم (٣٦٠٦).

(٢) سورة يس:٨٠.

(٣) السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/ ٣٤٧، ٣٤٨.

فقد نقل السيوطي عن الإمام الرازي (ت ٦٠٦ هـ) استدلاله على صحة هذه المسألة بعدة مسالك، كان منها المسلك الثاني الذي اعتمد فيه الإمام الرازي على أنهما لم يثبت عنهما شرك بل كانا على الحنيفية دين جدهما إبراهيم عليه السلام، ثم قال: "وعندي في نصرة هذا المسلك وما ذهب إليه الإمام فخر الدين أمور، أحدها: دليل استنبطته مركب من مقدمتين: الأولى: أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن كل أصل من أصول النبي ﷺ من آدم إلى أبيه عبد الله فهو من خير أهل قرنه وأفضلهم. والثانية: أن الأحاديث والآثار دلت على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح أو آدم إلى بعثة النبي ﷺ، ثم إلى أن تقوم الساعة من ناس على الفطرة يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له وبهم تحفظ الأرض، ولولاهم لهلكت الأرض ومن عليها.

وإذا قارنت بين هاتين المقدمتين أنتج منها قطعاً أن آباء النبي ﷺ لم يكن فيهم مشرك؛ لأنه قد ثبت في كل منهم أنه من خير قرنه، فإن كان الناس الذين هم على الفطرة هم إياهم فهو المدعى، وإن كانوا غيرهم وهم على الشرك لزم أحد أمرين: إما أن يكون المشرك خيراً من المسلم وهو باطل بالإجماع. وإما أن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفة الأحاديث الصحيحة؛ فوجب قطعاً أن لا يكون فيهم مشرك ليكونوا من خير أهل الأرض كل في قرنه"(١).

ثم ذكر طرفا من الأحاديث النبوية التي تؤكد صحة كل مقدمة من المقدمتين السابقين، أكتفي بإيراد حديث واحد مما استدل به على صحة كل

(١) السيوطي: رسالة مسالك الحنفاء في والدي المصطفى، ٢/ ٢٥٤، ٢٥٥.

مقدمة، وفي ذلك يقول الإمام السيوطي: " ذكر أدلة المقدمة الأولى: أخرج البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : (بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ)[١]، وبعد عرض جملة من الأحاديث، عقب عليها قائلا: "قال الحافظ ابن حجر في أماليه: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن، ومن المعلوم أن الخيرية والاصطفاء والاختيار من الله، والأفضلية عنده لا تكون مع الشرك"[٢].

ثم ذكر في أدلة المقدمة الثانية العديد من الآثار، أكتفي بإيراد واحد منها، عن علي بن أبي طالب قال: (لم يزل على وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمون فصاعدا فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها)[٣]، وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع[٤].

وبعد إيراده لجملة من هذه الآثار عقب عليها بأنه قد عرف من مجموعها أن أجداد النبي ﷺ كانوا مؤمنين بيقين، وأن آباء النبي ﷺ من عهد إبراهيم إلى كعب بن لؤي كانوا كلهم على دين إبراهيم، وولد كعب مرة، الظاهر أنه كذلك؛

---

(١) السابق: نفس المرجع، ٢/ ٢٥٥. والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (المناقب) باب (بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ) ح رقم (٣٥٥٧).

(٢) السيوطي: رسالة مسالك الحنفاء في والدي المصطفى، ٢/ ٢٥٦.

(٣) أخرجه عبد الرازق في المصنف، كتاب (المناسك) باب (بَابُ بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ)ح رقم (٩٠٩٩).

(٤) السيوطي: رسالة مسالك الحنفاء في والدي المصطفى، ٢/ ٢٥٦، ٢٥٧.

لأن أباه أوصـاه بالإيمان، وبقي بينه وبين عبد المطلب أربعة آباء وهم: كلاب، وقصـي، وعبد مناف، وهاشم، ولم أظفر فيهم بنقل لا بهذا ولا بهذا، والراجح أنه كان على التوحيد وملة إبراهيم، منتهيا إلى تأويل الأحاديث التي أشـــارت أن مصير أبويه النار(١).

وقد فصــل الإمام الســيوطي القول في أنواع الأقيســة والطرق العقلية التي تقوم على الكتاب والسنة، وهو ما يتضح من خلال ما يلي:

الأقيسة العقلية التي اشتمل عليها القرآن الكريم:

أشــار الإمام الســيوطي إلى أنواع عديدة من الأقيســة العقلية التي اشــتمل عليها القرآن الكريم، وهي من الأقيســة المتعارف عليها في علم الجدل، أعرض لطرف منها فيما يلي:

١-**السبر والتقسيم:** كلاهما واحد، وهو إيراد أوصاف الأصل، أي المقيس عليه، وإبطال بعضــها؛ ليتعين الباقي للعلية، كما يقال: علة الحدوث في البيت؛ إما التأليف أو الإمكان، والثاني باطل بالتخلف؛ لأن صـــفات الواجب ممكنة بالذات وليست حادثة، فتعين الأول (٢).

---

(١) يراجع السيوطي: نفس المرجع، ٢/ ٢٥٨، وما بعدها حتى نهاية الرسالة.

(٢) الجرجاني (الشـريف) كتاب التعريفات، ضـبطه وصـححه جماعة من العلماء بإشـراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١١٦.

وقيل هو: حصر الأوصاف التي يظن أنها علة الحكم، ثم إبطالها الواحد تلو الآخر إلا واحدا منها حيث يتعين كونه علة [١].

وقد أورد له الإمام السيوطي من القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾[٢]. ثم قال في استنباطه هذا القياس من هذه الآية: "فإن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى رد تعالى ذلك عليهم بطريق السَّبْر والتقسيم، فقال: إن الخلق لله، خلق من كل زوج مما ذكر ذكرا وأنثى، فمم جاء تحريم ما ذكرتم، وما علته؟ لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة، أو اشتمال الرحم الشامل لهما، أو لا يدرى له علة، وهو التعبّدي، بأنْ أخذ ذلك عن الله، والأخذ عن الله إما بوحْي، أو إرسال رسول، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقّي ذلك عنه، وهو في معنى قوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾[٣].

فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن وَجْهٍ منها:

والأول: يلزم عليه أن تكون جميع الذكور حراماً.

والثاني: يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراماً.

والثالث: يلزم عليه تحريم الصنفين معاً، فبطل ما فعلوه من تحريم بعضٍ في حالة وبعضٍ في حالة؛ لأن العلة، على ما ذكر، تقتضي إطلاق التحريم،

---

(١) قلعجي (محمد رواس) وقنيبي (حامد صادق) معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م، ص ٢٣٩.

(٢) سورة الأنعام:١٤٣.

(٣) سورة الأنعام:١٤٣.

والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدَّعوه، وبواسطة رسول كذلك، لأنه لم يأت إليهم رسولٌ قبل النبي ﷺ.

وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدَّعَى، وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال"(١).

٢-**القول بالموجب:** وقد عرفه الصلاح الصفدي بقوله: " هو أن يقع في كلام المتكلم شيء يعني به نفسه، فيثبته المتكلم لغيره من غير تصريح بثبوته له ولا بنفيه، وقد جاء في القرآن العظيم منه قوله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾(٢).

فإنهم كنوا بالأعزّ عن فريقهم، والأذل عن المؤمنين، فأثبت الله ﷻ صفةَ العزة لله ورسوله والمؤمنين، من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج بصفة العزة ولا لنفيه.

وهذا نوع عزيز الوقع، لا يطيع من يرومه؛ لتعزر مسلكه"(٣).

وينقل الإمام السيوطي تعريفه للقول بالموجب عن ابن أبي الإصبع (ت ٥٩٥ هـ)، بأنه: ردّ كلام الْخصم من فحوى كلامه. ثم يوضح أن القول بالموجب قسمان، ويعطي مثالا لكل قسم على النحو التالي:

---

(١) السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/ ٣٤٩.

(٢) سورة المنافقون: ٨.

(٣) الصفدي: الغيث المسجم شرح لامية العجم، ص ١٦٠.

أحدهما: أن تقع صـــفةٌ في كلام الغير كناية عن شـــيء أثبت له حُكم، فيثبتها لغير ذلك الشيء، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

فالأعزّ وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم، والأذل كناية عن فريق المؤمنين، وأثبت المنافقون لفريقهم إخراجَ المؤمنين من المدينة، فأثبت الله في الرد عليهم صـــفةَ العزة لغير فريقهم، وهو اللَّهُ ورســـوله والمؤمنون، وكأنه قيل: صـــحيح ذلك ليخرجنَّ الأعز منها الأذل، لكن هم الأذل المخْرَج، والله ورســوله الأعز المُخْرِج.

وهذا النوع من القول بالموجب هو ما أشار إليه الصفدي في تعريفه القول بالموجب.

والثاني: حَمْل لفظٍ واقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله، بذكر متعلَّقه.

فقد بين السـيوطي انفراده بهذا المثال دون من سـبقه، حيث يقول: ولم أر مَنْ أورد له مثالاً من القرآن. وقد ظفرت بآية منه، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾(٢).

---

(١) سورة المنافقون: ٨.

(٢) سورة التوبة:٦١، و: السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/ ٣٥٠.

٣-**التسليم**: وقد عرفه الإمام السيوطي بقوله: وهو أن يفرض المحال إما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع، ليكون المذكور ممتنعَ الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليا، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه. وضرب له مثالا بقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾(١).

ثم قال في توضيح الآية: المعنى ليس مع الله من إله، ولو سُلِّم أن مع الله إلهاً لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق، وعلوّ بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر، ولا ينفذ حكم، ولا تنتظم أحواله. والواقع خلاف ذلك، ففَرض إلهين فصاعداً محال، لا يلزم عليه من المحال(٢).

٤-**الانتقال**: وقد عرفه الإمام السيوطي بقوله: وهو أن ينتقل المستدلّ إلى استدلال غير الذي كان آخذاً فيه، لكَوْن الخصم لم يفهم وَجْهَ الدلالة من الأول.

وضرب له مثالا بما جاء في مناظرة الخليل الجبار لما قال له: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، فقال الجبار: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾.

ثم دعا بمَنْ وجب عليه القَتْل فأعتقه، ومن لا يجب عليه القتل فقتله، فعلم الخليل أنه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة، أو علم بذلك وغالط بهذا الفعل،

---

(١) سورة المؤمنون: ٩١.

(٢) السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/ ٣٥٠.

فانتقل ﷺ إلى استدلال لا يجد له الجبار وجهاً يتخلص به منه، فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١).

فانقطع الجبار وبهِت، ولم يمكنه أن يقول: أنا الآتي بها من المشرق، لأن من هو أسنّ منه يكذبه(٢).

٥-**المناقضة:** وقد عرفه الإمام السيوطي بقوله: وهي تعليق أمر على مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾(٣).

٦-**مجاراة الخصم:** بين الإمام السيوطي أن الهدف منه الوصول بالخصم لمرحلة التعثر، بأن يسلم بعض مقدماته، حيث يراد تبكيته وإلزامه. وضرب له مثالا بقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا﴾(٤)، فقوله: (إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾(٥) فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية، فكأنهم سلموا انتفاءَ الرسالة عنهم، وليس مراداً، بل هو من مجاراة الخصم

---

(١) سورة البقرة: ١٥٨.

(٢) السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/ ٣٥١.

(٣) سورة الأعراف: ٤٠، و: السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/ ٣٥١.

(٤) سورة إبراهيم: ١٠.

(٥) سورة إبراهيم: ١١.

ليعثر، فكأنهم قالوا: ما ادّعيتم من كوننا بشرا حق لا ننكره، ولكن هذا لا ينافي أن يَمُنَّ الله علينا بالرسالة(١).

٧-**الاستدلال بضرب المثال:** عرض الإمام السيوطي لهذ الاستدلال باعتباره أحد وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، وهو: (ضرب الأمثال فيه ظاهرة ومضمرة)، وذكر من فوائده: التذكير، والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن هنا كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالمشاهد(٢).

وبما تقدم يتضح أن الإمام السيوطي يرى الاكتفاء بالقرآن الكريم في أقيسته واستدلالاته وبراهينه، دونما حاجة إلى أقيسة المتكلمين وبراهينهم التي تعود في أصلها إلى القرآن الكريم، إلا أنهم دققوا فيها النظر وأكثروا من التفريعات التي أبعدتهم عن صفاء القرآن ووضوح براهينه.

وإذا كان الإمام السيوطي قد أعلن من قبل رفضه بل تحريمه للمنطق، فها هو باستخدامه لهذه الأقيسة القرآنية يكون قد جارى المناطقة في استخدامهم

---

(١) السيوطي: معترك الأقران، ١/ ٣٥١، و: التهانوي (محمد بن علي) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح د/ علي دحروج، مكتبة لبنان، ط الأولى ١٩٩٦م، ٢/ ١٤٥٥.

(٢) السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/ ٣٥١، ٣٥٣.

لها، صحيح أنه أتي لها بشواهد قرآنية خالصة، لكن تبقى بعض مسمياتها التي أوردها الإمام السيوطي خير شاهد على اقتباسها من المنطق الذي أشهر سيف المعارضة والتحريم في وجهه. وليته سار على خطى الإمام الغزالي–الذي قال عنه: إنه أول من خلط المنطق بأصول المسلمين[١]– في موائمته بين اصطلاحات المنطق وغيرها من اصطلاحات العلوم الإسلامية، وفي تطبيقه لقواعد المنطق على شتى مناحي تفكيره، في الكلام والأصول والفقه [٢]، وكتابيه (معيار العلم) و (القسطاس المستقيم) خير شاهد على هذا، فقد ألبس الأقيسة المنطقية وصورها وأشكالها لباس الإسلام[٣]، حيث استخرج الأقيسة المنطقية من القرآن وأطلق عليها اسم الموازين[٤].

ولا شك أن الإمام الغزالي كان أكثر حنكة ودربة من السيوطي، حيث جمع بين استخدامه للمنطق وبين تحاشيه لغضب الفقهاء والأصوليين الرافضين للمنطق، من تغيير أسماء الأقيسة المنطقية، واستعانته في ذلك بالعديد من الشواهد الفقهية التي يستعملها الفقهاء والأصوليون في مباحثهم. وهو الأمر الذي لم يستطع الإمام السيوطي أن يفعله، حيث ساير الفقهاء والأصوليون في تحريم المنطق، وفي الوقت نفسه يستخدم الأقيسة المنطقية بمسمياتها التي وصلتنا عبر حركة الترجمة التي عابها ورفضها.

(١) يراجع: السيوطي: صون المنطق والكلام عن فني المنطق وعلم الكلام، ١/ ٤٦.

(٢) يراجع نصار: المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام، ص ١٨٨.

(٣) يراجع الغزالي: معيار العلم في فن المنطق، ص ١٣٠ وما بعدها.

(٤) يراجع الغزالي: القسطاس المستقيم (الموازين الخمسة المعروفة في القرآن)، تعليق/ محمود بيجو، المطبعة العلمية دمشق، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٨ وما بعدها.

المبحث الثالث
الصفات الخبرية بين التفويض والتأويل عند الإمام السيوطي

ذهب الإمام السيوطي إلى أن التأويل أصله من الأول وهو الرجوع، فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني، وقيل من الإيالة وهي السياسة، كأن المؤول للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه. ومن ثم فالتأويل هو صرف اللفظ إلى ما يحتمله من المعاني(١). وهو خلاف الأصل؛ لأنه أخذ بالاحتمال المرجوح، وبغير الظاهر. وهذا ما أكده الإمام السيوطي بقوله:

الظاهر الدال برجحان وإن ... يُحمل علي المرجوح تأويلٌ زُكِنْ(٢).

صحيح إن كان دليل أو حسب ... ففاسد أو لا لشيء فلعب(٣).

ففي هذين البيتين عرف الإمام السيوطي التأويل بأنه: حمل الظاهر الراجح على المحتمل المرجوح. كما أنه فرق بين التأويل الصحيح القائم على الدليل وبين التأويل الفاسد العاري عن الدليل، ذلك أن الحمل إذا كان لدليل صيره راجحا فتأويل صحيح. أما إذا كان الحمل لما ظُنَّ دليلا وليس كذلك في الواقع

---

(١) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ٤/ ١٩٢.

(٢) قوله: (زُكِنْ) أي عُلم، أي أن هذا التأويل القائم على الدليل معلوم ومعروف. يراجع الولوي: الجليس الصالح النافع بتوضيح معاني الكوكب الساطع، ص ٢٢٤.

(٣) السيوطي: الكوكب الساطع، ص ٢٢٤.

ففاســـد. وإذا كان الحمل لا لشـــيء فهذا ليس بتأويل، بل هو لعب غير معتد به[١].

وإذا كان السيوطي قد ذهب إلى أن التأويل هو صرف اللفظ إلى ما يحتمله من المعاني، فهل طبق هذا المفهوم على قضية الصفات الإلهية؟ أو أنه ذهب فيها مذهب الســـلف بإمرارها على ظاهرها دون خوض في تأويلها، وهو ما يتناغم وينسجم مع تحريمه النظر في علم الكلام؟ أو كان متأرجحا بصددها بين التفويض تارة والتأويل تارة أخرى؟

لم يحســم الإمام الســيوطي رأيه في مســألة الصــفات الخبرية، وإنما كان متأرجحا فيها بين التفويض والتأويل، فتارة يفوض وأخرى يؤول، ولا غضــاضــة عنده في أي الطريقين يسلك، طالما أن التنزيه يمكن أن يتحقق من خلاله، وفي ذلك يقول: وما أتي به الهدي والسنن ... من الصفات والمشكلات نؤمن.

بها كما جاءت مُنزِّهينا ... مفوضين أو مؤولينا [٢].

فالإمام الســيوطي يرى أن الصــفات الخبرية من المشــكل الذي يجب أن نؤمن بظاهره وننزه الله تعالى عن حقيقته كما هو مذهب الســلف، أو نؤوله كما هو مذهب الخلف، وهو ما زاده شــرحا وتوضــيحا بقوله: " وما ورد في الكتاب والسنة من المشكل من الصفات نؤمن بظاهرة وننزه عن حقيقته، كقوله تعالى:

---

(١) يراجع الولوي: الجليس الصالح النافع بتوضيح معاني الكوكب الساطع، ص ٢٢٤.

(٢) السيوطي: الكوكب الساطع، ص ٥٨٩.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[١]، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[٢]، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[٣]، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٤]، وقوله ﷺ: (إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء) [٥].

ثم نفوض معناه المراد إليه تعالى كما هو مذهب السلف، وهو أسلم. أو نؤول كما هو مذهب الخلف، فنؤول في الآيات الاستواء بالاستيلاء، والوجه بالذات، والعين باللطف، واليد بالقدرة. والمراد بالحديث: أن قلوب العباد كلها بالنسبة إلى قدرته تعالى شيء يسير يصرفه كيف يشاء، كما يقلب الواحد من عباده اليسير بين إصبعين من أصابعه" [٦].

فالإمام السيوطي وإن كان يرى أن الغاية هي تحقيق التنزيه سواء عن طريق التفويض أم التأويل إلا أنه يرى أن التفويض أصلح، يقول: والجهل بالتفصيل ليس يقدحُ... بالاتفاقِ والسكوتُ أصلحُ[٧].

---

(١) سورة طه: ٥.

(٢) سورة الرحمن: ٢٧.

(٣) سورة طه: ٣٩.

(٤) سورة الفتح: ١٠.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عمرو بن العاص ﷺ، كتاب (القدر) باب (باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء) ح (٦٩٢١)

(٦) السيوطي: الكوكب الساطع، ص ٥٨٩.

(٧) السيوطي: إتمام الدراية لقراء النقاية، تح/ الشيخ إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٧.

وينقل عنه ابن العماد (ت ١٠٨٩هـ) في ترجمته قوله في ترجيح التفويض؛ لأنه أسلم: فوض أحاديث الصفات * ولا تشبه أو تعطل

إلا رمت إلا الخوض في * تحقيق معضلة فأول

إن المفوض سالم * مما تكلفه المؤول[١].

ومن المواضع التي رجح فيها الإثبات مع التفويض دون التأويل قوله في الغمام الوارد في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾[٢]، (غمَام): سحاب أبيض؛ سمِّي بذلك لأنه يغمّ السماء، أي يسترها. و(ظُلَلٍ) جمع ظلة، وهو ما علاك من فوق، فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال، وإن كان لله فهو من المتشابه، فيجب الإيمان بها من غير تكييف...، وتأويله عند المتأولين يأتيهم عذاب الله في الآخرة، أو أمره في الدنيا [٣].

فقد عد الإمام السيوطي آيات الصفات من المتشابه الذي يجب الإيمان به، وتفويض معناه المراد إلى الله تعالى، "وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها، وتفويض معناها المراد إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها" [٤].

---

(١) ابن العماد (عبد الحي بن أحمد بن محمد) شذرات الذهب في أخبار من ذهب،١٠/ ٧٨.

(٢) سورة البقرة: ٢١٠.

(٣) السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ٢/ ٦٢٩.

(٤)١/ ١١١.

ثم أورد طائفة من أقوال أهل العلم في الأحاديث التي يوهم ظاهرها التشبيه، ثم نقل عنهم القول: "المذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة... أنهم قالوا: نروي هذه الأحاديث كما جاءت ونؤمن بها، ولا يقال كيف، ولا نفسر ولا نتَوَهّم.

وذهبت طائفة من أهل السنّة إلى تأويلها على ما يليق بجلاله تعالى، وهذا مذهب الخلف، وكان إمام الحرمين يذهب إليه، ثم رجع عنه، فقال في الرسالة النظامية: الذي نرتضيه دينا وندين الله به عقداً اتباع سلف الأمة، فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها.

وقال ابن الصلاح: وعلى هذه الطريقة مضى صَدْر الأمة وساداتها، وإياها اختار أئمة الفقهاء وقادتها، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه، ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يَصْدف عنها ويأباها"[1].

فهذه النصوص وغيرها توضح ميله إلى التفويض وعدم التأويل.

غير أننا في مواطن أخرى كثيرة وجدناه يرجح جانب التأويل على التفويض، فقد ألف كتابا لهذا الغرض بعنوان: (تأويل الأحاديث الموهمة للتشبيه)، ذهب فيه إلى أن التأويل مندرج في التوحيد اندراج المقدمة في البرهان، وفي ذلك يقول: " التأويل مندرج في التوحيد اندراج المقدمة في البرهان، غير أن من السلف من أمرها على ما وردت، وأمر بالكف عن التأويل حذارا

(١) السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/ ١١١، ١١٢، ويراجع الجويني: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تح/ محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٣٢.

على القلب من الزيغ وعلى اللسان من الطغيان، وإنما حذر غير الراسخين في العلم من الخوض بلا بصيرة ولا إيقان"[١].

فقول السيوطي باندراج التأويل في التوحيد اندراج المقدمة في البرهان يعنى أنه إذا كانت المقدمة ضرورية لإنتاج البرهان، فالتأويل ضروري في تحقيق التوحيد، فكما أنه لا برهان من غير مقدمات فإنه لا توحيد من غير تأويل[٢].

وقوله: (من السلف من أمرها على ما وردت) يشعر بأن بعضا يسيرا من السلف قال ذلك، وهو خلاف لما قرره من قبل في النصوص التي نقلها عن أهل العلم.

وقوله: (وإنما حذر غير الراسخين في العلم من الخوض بلا بصيرة ولا إيقان) يدل على أن الراسخين في العلم لم يمنعوا من الخوض في التأويل، وقد جعل آيات الصفات وأحاديثها من المتشابه الذي يعلم الراسخون تأويله[٣]. وهذا مخالف لما نقله من قبل عن جمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث من أنهم على الإيمان بها، وتفويض معناها المراد إلى الله تعالى، دون تفسير لها مع تنزيههم له عن حقيقتها.

---

(١) السيوطي: تأويل الأحاديث الموهمة للتشبيه، ضبط وتعليق/ البسيوني مصطفى إبراهيم الكومي، دار الشروق جدة، ط الأولى ١٣٩٩هـ، ص ١٠٦.

(٢) يراجع خليفة: جلال الدين السيوطي وآراؤه الاعتقادية، ١/ ١١٩، ١٢٠.

(٣) السابق: نفس المرجع، يراجع: ١/ ١٢١، ١٢٣.

ويمكن أن يقال في الجمع بين قوليه: إن الراسخين في العلم يعلمون معاني المتشابه ويعلمون تفسيره، غير أن الكيف في حقه تعالى لا يعلمه أحد، وما نفاه عن السلف غير ما أثبته لهم، فتنفك الجهة ويزول ما ظاهره التناقض(١).

وقد وضع الإمام السيوطي له ضابطا في تأويل آيات وأحاديث الصفات، تابع فيه الإمام الرازي، وهو: أن "كل صفة يستحيل حقيقتها على الله تفسَّر بلازمها.

قال الإمام فخر الدين: جميع الأعراض النفسانية -أعني الرحمة، والفرح والسرور، والغضب والحياء والكره والاستهزاء- لها أوائل ولها غايات، مثاله الغضب، فإن أوله غليان القلب، وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه، فلفظ الغضب في حق الله لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب، بل على غرضه الذي هو إرادة الإضرار، وكذلك الحياء له أول، وهو انكسار يحصل في النفس، وله غرض وهو ترك الفعل، فلفظ الحياء في حق الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار النفس، انتهى(٢).

وقال الحسين بن الفضل (ت ٢٨٢ هـ): العجب من الله إنكار الشيء وتعظيمه.

---

(١) السابق: نفس المرجع، يراجع: ١/ ١٢١-١٢٣.

(٢) يراجع الرازي: أساس التقديس، مؤسسة الكتب الثقافية، ط الأولى ١٩٩٥م، ص ١١٢.

وسئل الجنيد (ت ٢٩٧ هـ) عن قوله: ﴿**وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ**﴾[١]، فقال: إن الله لا يعجب من شيء. ولكن الله وافق رسوله، فقال: ﴿ **وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ**﴾، أي هو كما تقول...

ومن ذلك قوله: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾[٢]، أي بعلمه. وقوله: ﴿**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ**﴾ [٣]. قال البيهقي (ت ٤٥٨هـ): الأصح أن معناه أنا المعبود في السماوات وفي الأرض، مثل قوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ**﴾ [٤]. وقال الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) الظرف متعلق بـ (يعلم)، أي عالم بما في السماوات والأرض"[٥].

وقد فاض كتاب الإمام السيوطي (تأويل الأحاديث الموهمة للتشبيه) بمثل هذه التأويلات، وتتبع كل تأويلات الإمام السيوطي لأحاديث الصفات الواردة في هذا الكتاب وعرض تفصيلاتها أمر صعب المنال، لذا اكتفى الباحث بعرض إجمالي لأهم هذه التأويلات التي وردت في هذا الكتاب على النحو التالي:

---

(١) سورة الرعد: ٥.

(٢) سورة الحديد: ٤.

(٣) سورة الأنعام: ٣.

(٤) سورة الزخرف: ٨٤.

(٥) السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/ ١١٦، ١١٧. ويراجع: موسى (محمد بن حسن بن عقيل) إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي والعلماء دراسة نقدية مقارنة، دار الأندلس الخضراء جدة، ط الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م، ص ٤٩٠- ٤٩٥.

١-أول أحاديث الفوقية والاستواء بالقهر[١].

٢-أول أحاديث النزول بنزول المؤاخذة بالعدل، والمسامحة بالفضل[٢].

٣-أول أحاديث المشي والهرولة برحمة أوليائه رحمة ناجزة سريعة[٣].

٤-أول أحاديث الضحك بالرضا[٤].

٥-أول أحاديث الغضب والرضا بالعقوبة والرحمة[٥].

٦-أول أحاديث الفرح بالإقبال بتبشْبُشٍ[٦].

٧-أول أحاديث الصورة والرؤية لله ﷻ بالصورة المعنوية[٧].

٨-أول أحاديث الدنو والتدني بالمكانة لا المكان[٨].

---

(١) يراجع: السيوطي: تأويل الأحاديث الموهمة للتشبيه، ص ١١٤.

(٢) السابق: نفس المرجع، يراجع: ص ١١٥.

(٣) السابق: نفس المرجع، يراجع: ص ١١٦.

(٤) السابق: نفس المرجع، يراجع: ص ١١٨.

(٥) السابق: نفس المرجع، يراجع: ص ١٢٠، ١٢١.

(٦) السابق: نفس المرجع، يراجع: ص ١٢٢.

(٧) السابق: نفس المرجع، يراجع: ص ١٢٣.

(٨) السابق: نفس المرجع، يراجع: ص ١٢٦.

٩-أول أحاديث الساعد بالقوة[١].

١٠-أول أحاديث قرب الله من عابديه وسائليه بالقرب المعنوي[٢].

إلى غير ذلك من الأحاديث التي أعمل الإمام السيوطي فيها التأويل وفتح فيها بابه على مصراعيه.

ومع أن الكتاب كما يفهم من عنوانه يتبنى منهج التأويل في أحاديث الصفات إلا أن الإمام السيوطي قد ذهب إزاء بعض أحاديث الصفات منهج الإثبات، ومن ذلك أحاديث الوجه والعينين؛ لأنه يرى ما يلي:

١-أنها صفات سمعية.

٢-أنه ضاق توجه الاستعارة إليها.

٣-لم يمكن ردها إلى الصفات المعنوية إن لم تكن فيها؛ لأن الشرع أثبتها.

٤-لم يمكن حملها على ظاهرها؛ لأن العاقل يأباها.

٥-لم يكن حملها على الاستعارة في بعض المواد، فتعين ضرورة أن تثبت صفات لا جوارح[٣].

---

(١) السابق: نفس المرجع، يراجع: ص ١٥٢، ١٥٣.

(٢) السابق: نفس المرجع، يراجع: ص ١٧١.

(٣) السابق: نفس المرجع، يراجع: ص ١٢٨، ١٢٩.

ومن أحاديث الصـــفات التي أعمل الإمام الســـيوطي فيها جانب الإثبات أحاديث التعجب، دون أن يتبعها بتأويل يذكر[1]، مع أنه نقل عن الجنيد من قبل تأويله لها، غير أنه في موضـــع آخر حملها على المجاز، فقال في توجيهها:" علم الله تعالى أنه إنما يتعجب الآدمي من الشـــيء إذا عظم موقعه عنده، وخفي عليه سببه، فأخبرهم بما يعرفون ليعلموا موقع هذه الأشياء عنده، وقيل : معنى عجب ربك: رضي وأثاب، فسماه عجبا مجازا، وليس بعجب في الحقيقة. والأول أوجه" [2].

وبما تقدم يتضح تأرجح الإمام السيوطي بين إثبات الصفات وتفويض علم حقيقتها إلى الله تعالى مع تنزيه الله ﷻ عن ظاهرها وهو – كما يرى مذهب– السلف، وبين تأويلها على ما يليق بذات الله تعالى وهو مذهب السلف، ولا غرو أي الاتجاهين يسلك طالما أن التنزيه يتحقق في كليهما.

(١) السابق: نفس المرجع، يراجع: ص ١١٩.

(٢) السيوطي: حاشية السندي على سنن النسائي، ٢/ ٢٠، ويراجع: السمهري (محمد بن عبد الله) دفع إيهام التشبيه عن أحاديث الصفات للسيوطي، دار بلنسية الرياض، ط الثانية ١٤٢١هـ، ص ١٤٣.

الخاتمة

من خلال ما سبق عرضه من مباحث ومطالب هذا البحث، نستطيع أن نخرج بالنتائج التالية:

أولا–اهتمام الإمام السيوطي بالعلاقة بين العقل والنقل وبيانه للدور الوظيفي للعقل في التكليف، والتمييز بين القبيح والحسن والسنة والبدعة، والرياء والإخلاص. وتأكيده على عدم الغلو والمبالغة في قدره، والالتزام بعدم مجاوزة حده.

ثانيا–تأكيد الإمام السيوطي على مقام العقل من الدين؛ إذ إن العقل منبع العلم وأساسه، وأنه حجة الله على جميع الخلق مع عدم استغنائه عن توفيق الله تعالى، وأن قبول هذا الدين لا يكون إلا بالعقل، لأن الله جعل المعجزة الكبرى لهذه الأمة عقلية، كما تتجلى قيمة العقل في قيامه بوظيفته وهي إقامة العبودية، وعدم مجاوزته حدوده التي رسمها له الشرع.

ثالثا–لفت الإمام السيوطي الانتباه إلى اشتمال القرآن الكريم على الأدلة العقلية التي استقاها المتكلمون من معينه، كالسبر والتقسيم، والقول بالموجب، والتسليم، والانتقال، المناقضة، ومجاراة الخصم، والتمثيل، وغيرها. وبهذا يتأكد أنه لا تعارض بين العقل الذي يعرف دوره فلا يهمله ويقف عند حدوده فلا يتجاوزها، وبين النقل الصحيح الذي لا يستغنى العقل عنه في دعمه وتوفيقه واستلهام أدلته منه.

رابعا–تجلت علاقة العقل بالنقل عند الإمام السيوطي بصورة حية عملية ملموسة من خلال مسألة التأويل، وجنوحه بشأن تأويل الصفات الخبرية إلى التفويض تارة متبنيا مذهب السلف، وإلى التأويل تارة أخرى متبنيا مذهب الخلف. فقد كان تنزيه الله تعالى همه وغايته، رام الوصول إليها من أي طريق كان.

وبما تقدم من عرض علاقة العقل بالنقل عند الإمام السيوطي يكون البحث قد وقف بنا على صفحة مضيئة من صفحات الفكر الإسلامي، حاول البحث أن يجليها ويبرز أهم معالمها، فإن كان من توفيق فمن الله تعالى، وإن كانت الأخرى فالله ورسوله منه براء.

فهرس أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم: جل من أنزله.

كتب السنة النبوية المطهرة: على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

١. ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد) الموضوعات، ضبط وتقديم وتحقيق/ عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط الأولى ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م.

٢. ابن السمعاني (أبو المظفر) الانتصار لأصحاب الحديث، تح/ محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، مكتبة أضواء المنار السعودية، ط الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٣. ابن الصلاح (عثمان بن عبد الرحمن) فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه، تح د/ عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة بيروت لبنان، ط الأولى ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

٤. ابن العربي (محمد بن عبد الله أبو بكر) قانون التَّأوِيْل، تح/ محمّد السّليماني، دار القبلة جَدّة، ط الأولى ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

٥. ابن العماد (عبد الحي الدمشقي) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح/ عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير دمشق بيروت، ط الأولى ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م.

٦. ابن تيمية (أحمد ابن عبد الحليم) مجموعة الرسائل الكبرى، الرسالة الأولي (الإكليل)، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، بدون.

٧. ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل) كتاب المخصص، تح/ خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٨. ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله) جامع بيان العلم وفضله، تح/ أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط الأولى ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م.

٩. ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تح/ عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب، ط الأولى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م

١٠. الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٩هـ.

١١. الألباني (محمد ناصر الدين) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط الأولى ١٤٢٥ هـ.

١٢. بدوي (عبد الرحمن) مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات بالكويت، ط الثالثة ١٩٩٧ م.

١٣. التهانوي (محمد بن علي) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح د/ علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، ط الأولى ١٩٩٦م.

١٤. الجامي (محمد أمان بن علي) الحكم على الشيء فرع عن تصوره، دار المنهاج بالقاهرة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م.

١٥. الجرجاني (أبو أحمد بن عدي) الكامل في ضعفاء الرجال، تح/ عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

١٦. الجرجاني (الشريف) كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٧. الجويني (إمام الحرمين) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تح/ محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٨. الجويني (إمام الحرمين) في أصول الفقه، تح/ صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط الأولى ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م.

١٩. حسن (عثمان بن علي) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، مكتبة الرشد ناشرون بالرياض، ط الخامسة ١٤٢٧ هـ.

٢٠. خليفة (سعيد إبراهيم مرعي) جلال الدين السيوطي وآراؤه الاعتقادية عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، رسالة دكتوراة بكلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى.

٢١. الديب (عبد العظيم محمود) العقل عند الأصوليين، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢٢. الذهبي (محمد السيد حسين) التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة.

٢٣. الرازي (فخر الدين) أساس التقديس في علم الكلام، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢٤. الرازي (فخر الدين) المحصول في علم الأصول، تح/ طه جابر فياض العلواني، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الأولى ١٤٠٠هـ.

٢٥. رشوان (حسين عبد الحميد) العلم والبحث العلمي (دراسة في مناهج العلوم)، المكتب الجامعي بالإسكندرية.

٢٦. السايح (أحمد) نظرات في مواقف السيوطي الكلامية، ضمن بحوث الندوة التي عقدتها المنظمة الإسلامية احتفاء بذكرى مرور خمسة قرون على وفاة الإمام السيوطي، مجلة الباحث اللبنانية، العدد الأول ١٩٩٤م.

٢٧. السفاريني (محمد بن أحمد بن سالم) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها دمشق، ط الثانية ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م.

٢٨. السمهري (محمد بن عبد الله) دفع إيهام التشبيه عن أحاديث الصفات ونقد (كتاب تأويل الأحاديث الموهمة للتشبيه) المنسوب للسيوطي، دار بلنسية الرياض، ط الثانية ١٤٢١هـ.

٢٩. السيوطي (جلال الدين) إتمام الدراية لقراء النقاية، تح/ الشيخ إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٧.

٣٠. السيوطي (جلال الدين) الإتقان في علوم القرآن، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٣١. السيوطي (جلال الدين) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، تح/ ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني، مطابع الرشيد، ١٤٠٩ هـ.

٣٢. السيوطي (جلال الدين) الحاوي للفتاوي، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت لبنان، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤ م.

٣٣. السيوطي (جلال الدين) الديباج على صحيح مسلم، تح/ أبو اسحاق الحويني، دار ابن عفان للنشر والتوزيع الخبر، ط الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٣٤. السيوطي (جلال الدين) الديباج على صحيح مسلم، تح/ أبو إسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع الخبر، ط الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م.

٣٥. السيوطي (جلال الدين) الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، مكتبة الثقافة الدينية.

٣٦. السيوطي (جلال الدين) القول المشرق في تحريم المنطق، ضمن كتاب الحاوي للفتاوي.

٣٧. السيوطي (جلال الدين) الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع ومعه شرحه المسمى الجليس الصالح النافع بتوضيح معاني الكوكب الساطع، لمحمد علي بن آدم موسى الإتيوبي الولوي، دار ابن الجوزي بالسعودية، ط الأولى ١٤٣١ هـ.

٣٨. السيوطي (جلال الدين) تأويل الأحاديث الموهمة للتشبيه، ضبط وتعليق/ البسيوني مصطفى إبراهيم الكومي، دار الشروق جدة، ط الأولى ١٣٩٩هـ.

٣٩. السيوطي (جلال الدين) جهد القريحة في تجريد النصيحة، ضمن كتاب صون المنطق والكلام عن فني المنطق وعلم الكلام.

٤٠. السيوطي (جلال الدين) حاشية السندي على سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، ط الثانية ١٤٠٦/ ١٩٨٦.

٤١. السيوطي (جلال الدين) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه مصر، ط الأولى ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م.

٤٢. السيوطي (جلال الدين) رسالة مسالك الحنفاء في والدي المصطفى، ضمن كتاب الحاوي للفتاوي.

٤٣. السيوطي (جلال الدين) صون المنطق والكلام عن فني المنطق وعلم الكلام، تح/ علي سامي النشار، سعاد علي عبد الرازق، سلسلة إحياء التراث الإسلامي.

٤٤. السيوطي (جلال الدين) كتاب التحدث بنعمة الله، تح/ اليزابث ماري سارتين، المطبعة العربية الحديثة بالقاهرة.

٤٥. السيوطي (جلال الدين) كتاب الكنز المدفون والفلك المشحون، ط ١٢٨٨ هـ.

٤٦. السيوطي (جلال الدين) معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح/ أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م.

٤٧. السيوطي (جلال الدين) نزهة الناظرين، ط مظهر العجائب مدارس، ١٢٧٩هـ.

٤٨. شاكر (محمود محمد) أباطيل وأسمار، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط الثالثة ٢٠٠٥ م.

٤٩. شرف (محمد جلال أبو الفتوح) جلال الدين السيوطي منهجه وآراؤه الكلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨١ م.

٥٠. الشيرازي (إبراهيم بن علي بن يوسف) اللمع في أصول الفقه، دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

٥١. الصفدي (صلاح الدين أبو الصفا) الغيث المسجم شرح لامية العجم، المطبعة الأزهرية المصرية، ط الأولى ١٣٠٥ هـ.

٥٢. صمدي (رضا أحمد) منهج المحدِّثين بين نظرية المنهج وتاريخ العلوم، بدون.

٥٣. الطباع (إياد خالد) الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي معلمة العلوم الإسلامية، دار القلم دمشق، ط الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م.

٥٤. الطبري (محمد بن جرير) جامع البيان في تأويل القرآن، تح/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م.

٥٥. الظهار (نجاح بنت أحمد) مصادر الإبداع عند الإمام جلال الدين السيوطي، مكتبة الرشد بالرياض، ط الأولى ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م.

٥٦. العبد (عبد اللطيف محمد) التفكير المنطقي بين المنهج القديم والمنهج الجديد، دار العلم للطباعة، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧م.

٥٧. عبد الرازق (سعاد علي) مقدمتها لكتاب: صون المنطق والكلام.

٥٨. عبد المعطي (فاروق) جلال الدين السيوطي إمام المجددين والمجتهدين في عصره، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٥٩. الغزالي (أبو حامد) إحياء علوم الدين، دار المعرفة بيروت.

٦٠. الغزالي (أبو حامد) القسطاس المستقيم (الموازين الخمسة المعروفة في القرآن)، تعليق/ محمود بيجو، المطبعة العلمية دمشق، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م.

٦١. الغزالي (أبو حامد) المستصفى من علم الأصول، تح/ محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٦٢. الغزالي (أبو حامد) المنقذ من الضلال، تقديم وتحقيق د/ عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة مصر.

٦٣. الغزالي (أبو حامد) معيار العلم في فن المنطق، تح د/ سليمان دنيا، ط دار المعارف، ١٩٦١م.

٦٤. الفضيلي (عبد الهادي) أصول البحث، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي بإيران.

٦٥. القدومي (مروان) الإمام السيوطي داعية الاجتهاد والتجديد، بدون.

٦٦. المكي (أبو طالب) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تح د/ عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط الثانية ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م.

٦٧. موسى (جلال محمد عبد الحميد) منهج البحث العلمي عند العرب، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط الأولى ١٩٧٢م.

٦٨. موسى (محمد بن حسن بن عقيل) إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي والعلماء دراسة نقدية مقارنة، دار الأندلس الخضراء جدة، ط الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م.

٦٩. الميداني (عبد الرحمن حسن حبنكة) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم دمشق، ط الثالثة ١٩٨٨م.

٧٠. النشار (علي سامي) مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر، ط الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٧١. نصار (محمد عبد الستار) المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام، مطبعة التقدم، توزيع دار الأنصار، ط الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧٢. نصار (محمد عبد الستار) موقف الإمام السيوطي من العلوم العقلية، مجلة الدارة مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبد العزيز بالرياض، العدد التاسع والسبعون لسنة ١٤١٥ هـ.

٧٣. الهروي (أبو إسماعيل الأنصاري) ذم الكلام وأهله، تح/ عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، ط الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.